ماذا تعرف عن القبرِ ؟

٥- الأَدِلَّةُ على عذابِ القبرِ

(مِن القُرْآنِ والسُّنَّةِ)

الشيخ/ندا أبو أحمد

ماذا تعرف عن القبر؟
٥ ـ الأدلة على عذاب القبر (من القرآن والسنة)

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١)

أما بعد....

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ ـ تعالى ـ، وخيرَ الهدي، هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

س: هل عذاب القبر حقيقة أم خيال كما يزعم البعض؟

جـ: ذهب فريق من الخوارج وبعض المعتزلة: (كضرار بن عمرو، وبشر المريسي):

إلى إنكار عذاب القبر، وذهب بعض المعتزلة كالجبائي: إلى أنه يقع على الكفار دون المؤمنين.

لكن نقول: إن عذاب القبر ثابت بالكتاب والسُّنَّة، ومُنْكِرُهُ زنديق، فيا طالب الحق، المتحري الإنصاف، إليك هذه النصوص القرآنية والأحاديث النبوية؛ فألقِ لها سمعك، وأحْضر قلبك، واحمد ربك إذ هداك لما اختلفوا فيه، ووفَّقَكَ لما انحرفوا عنه من الحق المبين، **وقل كما قال الراسخون في العلم:**

﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾، وردِّد دائمًا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾

(آل عمران:٧-٨)

أولًا: الأدلة القرآنية على عذاب القبر وفتنته:

قال ابن القيم -رحمه الله- كما في "الروح"(ص١٠٢): " إن نعيم البرزخ وعذابه مذكور في القرآن في غير موضع ". اهـ.

وقد ترجم البخاري في كتاب "الجنائز" فقال: "باب ما جاء في عذاب القبر" **: وساق في الترجمة ثلاث آيات: -**

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿ . . . وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَآئِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (الأنعام:٩٣)

قال الشيخ حافظ حكمي -رحمه الله-كما في "معارج القبول": " وجه الدلالة من هذه الآية أنه إذا كان يُفْعل به هذا وهو محتضر بين ظهراني أهله صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم، وهم لا يرون شيئًا من ذلك، ولا يسمعون شيئًا من ذلك التقريع والتوبيخ، ولا يدرون بشيء من ذلك الضرب، غير أنهم يرون مجرد احتضاره وسياق نفسه، ولا يعلمون بشيء مما يقاسي من الشدائد، فلأن يُفْعل له في قبره أعظم منه ولا يعلمه من كشف عليه أولى وأظهر؛ لأنهم لم يطلعوا على ما يناله بين أظهرهم، فكيف وقد انتقل إلى عالم غير عالمهم ودار غير دارهم؟ "اهـ بتصرف.

قال ابن القيم -رحمه الله-: وهذا خطاب لهم عند الموت، وقد أخبرت الملائكة – وهم الصادقون – أنهم حينئذ يُجْزَون عذاب الهُون، ولو تأخر عنهم ذلك إلى انقضاء الدنيا لما صح أن يقال لهم: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾. اهـ.

يعني يوم موته، وهذا يدل أن العذاب يكون قبل يوم القيامة، وهنا لابد للمخالف من أحد أمرين: إما أن يقرَّ بما أخبر الله تعالى به في المحتضر؛ فيلزمه ما ورد في عذاب القبر، أو يجحد هذا وهذا، فيكفر بتكذيبه لله ورسوله.

الآية الثـــانية: قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ (التوبة: ١٠١)

جاء في "فتح الباري" (٣/٢٣٣): أن هذه الآية تدل على أن هناك عذابين سيصيبان المنافقِين قبل عذاب يوم القيامة.

العذاب الأول: ما يصيبهم الله به في الدنيا: إما بعقاب من عنده، وإما بأيدي المؤمنين.

والعذاب الثاني: عذاب القبر.

قال الحسن البصري -رحمه الله-: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ عذاب الدنيا، وعذاب القبر.

وقال الطبري -رحمه الله- في "تفسيره" (٦/٩-١١): "والأغلب في إحدى المرتين عذاب القبر، والأخرى تحتمل أحد ما تقدم ذكره من الجوع أو السبي أو القتل والإذلال... أو غير ذلك".

وقال أيضًا: " سنعذب هؤلاء المنافقين مرتين: إحداهما في الدنيا، والأخرى في القبر ".

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: " العذاب الثاني في القبر".

وقال مجاهد -رحمه الله-: "﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ بالجوع، وعذاب القبر ".

وقال قتادة-رحمه الله-: " عذابًا في الدنيا وعذابًا في القبر. وهو قول الحسن وابن جريج ".

الآية الثـــالـثـة: قوله تعالى: ﴿ . . . وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (غافر: ٤٥، ٤٦)

قال ابن كثير-رحمه الله-: " وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور".

وجاء في "فتح الباري" (١١/٢٣٣): "أن هذه الآية حجة واضحة لأهل السنة الذين أثبتوا عذاب القبر، فإن الحق . تبارك وتعالى . قرر أن آل فرعون يعرضون على النار غدوًا وعشيًا وهذا قبل يوم القيامة، **لأنه قال بعد ذلك:** ﴿ . . . وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (غافر:٤٦)

قال القرطبي -رحمه الله-: "الجمهور على أن هذا العرض يكون في البرزخ، وهو حجة في إثبات عذاب القبر". اهـ.

ففي هذه الآية ذكر عذاب الدارين ذكرًا صريحًا لا يحتمل غيره.

الآية الرابعة: ومن الإشارات القرآنية الواضحة الدالة على فتنة القبر، وعذابه

قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ . . . ﴾ (إبراهيم:٢٧)

وساق البخاري بسنده إلى البراء بن عازب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إذا أُقعد المؤمن في قبره أُتي ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ. . . ﴾".

وأخرجه مسلم أيضًا عن شعبة وزاد فيه: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ نزلت في عذاب القبر. يقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله وديني الإسلام ونبيِّي محمدٌ ﷺ، وذلك قول الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (إبراهيم:٢٧)

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: " المخاطبة في القبر يقول: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ وفي الآخرة مثل ذلك ".

الآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (٤٥) يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٦) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الطور: ٤٥-٤٧)

ذكر ابن جرير -رحمه الله- في "تفسيره" (١١/٣٧،٣٦): عن البراء ﷺ أنه قال في قوله تعالى: ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ قال: "عذاب القبر".

وعن قتادة -رحمه الله-: أن ابن عباس-رضي الله عنهما- كان يقول: " إنكم لتجدون عذاب القبر في كتاب الله: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الطور:٤٧)".

قال ابن جرير-رحمه الله-: " والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى أخبر أن للذين ظلموا أنفسهم بكفرهم به عذابًا دون يومهم الذي فيه يصعقون، وذلك يوم القيامة، فعذاب القبر دون يوم القيامة، لأنه في البرزخ، والجوع الذي أصاب كفار قريش...".

وقال ابن القيم-رحمه الله- في كتابه "الروح" (ص ١٠٢)، وفي "الدر المنثور" للسيوطي (٦/١٢٠): "وهذا يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا، وأن يراد به عذابهم في البرزخ وهو أظهر؛ لأن كثيرًا منهم مات ولم يعذب في الدنيا، وقد يقال وهو أظهر: إن مَن مات منهم عُذِّب في البرزخ، ومن بقي منهم عُذِّب في الدنيا بالقتل وغيره، فهو وعيد بعذابهم في الدنيا وفي البرزخ ".

الآية السادسة: قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (السجدة: ٢١)

قال ابن جرير -رحمه الله- في "تفسيره" (٩/١١٠): قال مجاهد -رحمه الله-:" الأدنى في القبور وعذاب الدنيا ".

وقال ابن القيم -رحمه الله- في "كتابه الروح" (ص١٠٢): " وقد احتج بهذه الآية جماعة (منهم عبد الله بن عباس-رضي الله عنهما-) على عذاب القبر، وفي الاحتجاج بها شيء؛ لأن هذا عذاب في الدنيا يستدعي به رجوعهم من الكفر، ولم يكن هذا مما يخفى على حبر الأمة وترجمان القرآن، لكن من فقهِ في القرآن ودقة فهمِهِ فيه، فهم منها عذاب القبر فإنه سبحانه أخبر أن له فيهم عذابين أدنى وأكبر، فأخبر أنه يذيقهم بعض الأدنى ليرجعوا، فدل على أنه بقي لهم من الأدنى بقية يعذبون بها بعد عذاب الدنيا، ولهذا قال: ﴿مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى﴾ ولم يقل: ولنذيقنَّهم العذاب الأدنى...فتأمله. **وهذا نظير قول النبي** ﷺ:" **فيفتح له طاقة إلى النار، فيأتيه من حرِّها وسمومها" ولم يقل:" فيأتيه حرها وسمومها** "، فإن الذي وصل إليه بعض ذلك وبقي له أكثره: والذي ذاقه أعداء الله في الدنيا بعض العذاب الأدنى، وبقي لهم ما هو أعظم منه". اهـ.

الآية السابعة: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (النحل: ٢٨،٢٩)

قال العلامة ابن كثير -رحمه الله- في "تفسيره" (٤/٨٨): " يخبر الله تعالى عن حال المشركين الظالمي أنفسهم عند احتضارهم ومجيء الملائكة إليهم..... وهم يدخلون جهنم من يوم مماتهم بأرواحهم، وينال أجسادهم في قبورهم من حرِّها وسمومها، فإذا كان يوم القيامة سلكت أرواحهم في أجسادهم وخلدت في نار جهنم، **كما قال تعالى:** ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (غافر:٤٦). اهـ.

الآية الثامنة: قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤) إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ (الإسراء: ٧٤،٧٥)

قال الحسن البصري -رحمه الله-: " هو عذاب القبر".

وقال عطاء -رحمه الله-: " هو عذاب القبر". (إثبات عذاب القبر للبيهقي: ص١٠٣)

الآية التاسعة: قوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا . . .﴾ (سورة نوح: ٢٥)

قال الألوسي-رحمه الله- في "روح المعاني" في تفسير هذه الآية: ﴿فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ " هي نار البرزخ، والمراد: عذاب القبر. ومن مات في ماء أو نار أو أكلته السباع أو الطير مثلًا أصابه ما يصيب المقبور من العذاب ". اهـ

وقال فخر الدين الرازي-رحمه الله- في "مفاتيح الغيب" (١٥/٧٥١): " تمسك أصحابنا في إثبات عذاب القبر بقوله: ﴿أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ **وذلك من وجهين:** -

الأول: أن الفاء في قوله تعالى: ﴿فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ تدل على أنه حصلت تلك الحالة عقيب الإغراق، فلا يمكن حملها على عذاب الآخرة، وإلا بطلت دلالة هذه الفاء.

الثاني: أنه قال: ﴿فَأُدْخِلُوا﴾ على سبيل الإخبار عن الماضي. وهذا إنما يصدق لو وقع ذلك. اهـ.

وقال القرطبي -رحمه الله- في "تفسيره" (١٠/٦٧٩٠): ﴿فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ أي بعد إغراقهم.

قال القشيري -رحمه الله-: " وهذا يدل على عذاب القبر". اهـ

وقال الشيخ أبو بكر الجزائري -رحمه الله- في "أيسر التفاسير": ﴿فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ أي بمجرد ما يغرق الشخص وتخرج روحه يدخل النار في البرزخ. اهـ

الآية العاشرة: قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ (الواقعة: ٨٣ - ٩٤)

وقد استدل الإمام ابن القيم بهذه الآيات على عذاب القبر في "كتاب الروح" (ص ١٠٢، ١٠٣) فقال:

"فذكر هاهنا أحكام الأرواح عند الموت، وذكر في أول السورة أحكامها يوم المعاد الأكبر، وقدم ذلك على هذا تقديم الغاية للعناية، إذ هي أهم وأولى بالذكر، وجعلهم عند الموت ثلاثة أقسام، كما جعلهم في الآخرة ثلاثة أقسام ".

الآية الحادية عشرة والأخيرة: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (طه: ١٢٤)

فالنبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى فسر هذه المعيشة الضنك: بأنها عذاب القبر.

فقد أخرج الحاكم بسند جيد عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال في تفسير هذه الآية: "**عذاب القبر**".

قال ابن كثير-رحمه الله-: وقال محمد بن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمر بن علي حدثني سلمة بن تمام حدثنا علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن عائشة-رضي الله عنها- قالت: "**ويل لأهل المعاصي من أهل القبور، تدخل عليهم في قبورهم حيَّات سود أو دُهْمٌ، حية عند رأسه وحية عند رجليه، يقرصانه حتى يلتقيا في وسطه، فذلك العذاب في البرزخ**، **الذي قال الله تعالى:** ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠٠)

وقال أبو صالح -رحمه الله- وغيره: في قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَائِهِم﴾: " يعني أمامهم ".

وقال مجاهد -رحمه الله-: " **البرزخ**: الحاجز ما بين الدنيا والآخرة ".

وقال محمد بن كعب-رحمه الله-: " **البرزخ**: ما بين الدنيا والآخرة، ليسوا مع أهل الدنيا يأكلون ويشربون، ولا مع أهل الآخرة يجازون بأعمالهم ".

وقال أبو صخر-رحمه الله-: "**البرزخ**: المقابر، لا هم في الدنيا ولا هم في الآخرة، فهم مقيمون إلى يوم يبعثون ".

وفي قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ . . .﴾ تهديد لهؤلاء المحتضرين من الظلمة بعذاب البرزخ، **كما قال تعالى:** ﴿وَمِن وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ (إبراهيم: ١٧)، **وقوله تعالى:** ﴿. . . إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي يستمر به العذاب إلى يوم البعث، **كما جاء في الحديث:** "**فلا يزال معذبًا فيها**"- أي في الأرض-". اهـ

(تفسير القرآن العظيم: ٣/٢٥٥).

الأدلة على عذاب القبر من السنة النبوية المطهرة:

لابد أن نعلم أن أحاديث القبر متواترة، وهي أخبار ثابتة توجب العلم وتنفي الشك والريب، وإنكار المتواتر كفر، لأنه أنكر شيئًا معلومًا من الدين بالضرورة.

ولقد نص على التواتر جمعٌ من أهل العلم: -

١- قال ابن القيم في كتابه "الروح" (ص ٧٠): " أما أحاديث عذاب القبر ومساءلة منكر ونكير فكثيرة متواترة عن النبي ﷺ ".

٢- وقال السيوطي في "شرح الصدور" (ص ١١٧): " **باب فتنة القبر وسؤال الملكين:** قد تواترت الأحاديث بذلك ".

٣- يقول "شارح الطحاوية" -رحمه الله- (ص ٤٥٠): " وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلًا، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، بل إن الشرع قد يأتي بما تحار فيه العقول، فإن عودة الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا ".

٤- وقال الشيخ حافظ حكمي -رحمه الله-:

" وأما نصوص السنة في إثبات عذاب القبر فقد بلغت الأحاديث في ذلك مبلغ التواتر، إذ رواها أئمة السنة وحملة الحديث ونقَّاده عن الجمِّ الغفير والجمع الكثير من أصحاب رسول الله ﷺ منهم: أنس بن مالك، وعبد الله بن عباس، والبراء بن عازب، وعمر بن الخطاب وابنه عبد الله، وعائشة أم المؤمنين، وأسماء بنت أبي بكر، وأبو أيوب الأنصاري، وأم خالد، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وسمرة بن جندب، وعثمان، وعليّ، وزيد بن ثابت، وجابر بن عبد الله، وسعد بن أبي وقاص، وزيد بن أرقم، وأبو بكرة، وعبد الرحمن بن سمرة، وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبوه عمرو، وأبو قتادة، وعبد الله بن مسعود، وأبو طلحة، وعبد الرحمن بن حسنة، وتميم الداري، وحذيفة، وأبو موسى، والنعمان بن بشير، وعوف بن مالك ﷺ ".

الأحاديث التي تدل على عذاب القبر:

١ – ولقد ترجم الإمام البخاري في "كتاب الجنائز" لعذاب القبر، فقال: "باب ما جاء في عذاب القبر"

عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: " العبد إذا وُضع في قبره وتولَّى وذهب أصحابه حتى أنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله. فيقال: انظر إلى مقعدك من النار أبْدلك الله به مقعدًا من الجَنَّة. قال النبي ﷺ: فيراهما جميعًا[١]، وأما الكافر أو المنافق فيقول: لا أدري، كنتُ أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ[٢]، ثم يُضْربُ بِمَطْرَقَةٍ[٣] من حديد ضربةً بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين "

(أخرجه البخاري ورواه مسلم من طرق عن قتادة بنحوه وزاد فيه).

– ***قال قتادة –رحمه الله–:*** " وذُكر لنا أنه يُفسح له في قبره سبعون ذراعًا – يعني المؤمن – ويملأ عليه خَضِرًا[٤] إلى يوم يبعثون ". (أخرجه مسلم).

– ***وقال ﷺ:*** " لولا أن لا تدافنوا لدعوتُ الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع" (أخرجه مسلم)

– ***وعن ابن عباس –رضي الله عنهما– أن رسول الله ﷺ:*** "كان يعلِّمهم هذا الدعاء كما يُعلِّم السورة من القرآن، قولوا: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات ". (أخرجه مسلم)

– ***وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** " إذا تشهَّد أحدكم فليستعذ بالله من أربع: يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال ".

– ***وعند البخاري ومسلم من حديث أنس ﷺ أيضًا أن النبي ﷺ قال:*** " وأعوذ بك من عذاب القبر ".

٢ – وأخرج البخاري عن عائشة–رضي الله عنها–: " أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر، فقالت لها: أعَاذكِ الله من عذاب القبر. فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر، فقال: نعم، عذاب القبر حق، قالت عائشة –رضي الله عنها–: فما رأيت رسول الله ﷺ بعدُ صلَّى صلاةً إلا تَعوَّذ من عذاب القبر".

١- وقد صحَّ كذلك أن للكافر مقعدين، وفي هذا الحديث دليل على أن لكل إنسان مؤمن أو كافر مقعدين: مقعد في الجنة، ومقعد في النار، فأما مقاعد الكفار في الجنة فإنها يرثها المؤمنون؛ كما قال تعالى: {أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (المؤمنون:١٠،١١)
ونقل ابن كثير -رحمه الله- في "تفسيره" (١١١/١٠) عن مجاهد -رحمه الله- أنه قال في هذه الآية: {أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ} ما عبدٍ إلا وله منزلان: منزل في الجنة، ومنزل
في النار، فأما المؤمن فيبني بيته الذي في الجنة، ويهدم بيته الذي في النار، وأما الكافر فيهدم بيته الذي في الجنة، ويبني بيته الذي في النار، ورُوِيَ عن سعيد بن جبير نحو ذلك، فالمؤمنون يرثون منازل الكفار؛ لأنهم خلقوا لعبادة الله تعالى وحده لا شريك له، فلما قام هؤلاء المؤمنون بما وجب عليهم من العبادة، وترك أولئك ما أمروا به مما خُلقوا له؛ أُحْرز هؤلاء نصيب أولئك لو كانوا أطاعوا ربهم ﷻ. اهـ
٢- "لا دَرَيْتَ وَتَلَيْتَ": نقل الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" (٢٣٩/٣): عن ثعلب أنه قال: "أي: لا فهمت، ولا قرأت القرآن، ولا اتَّبَعْتَ مَن يدري.
٣- "ثم يضرب بمطرقة": قال في "لسان العرب": أصل الطرقِ من الضرب، ومنه سُمِّيَت مطرقة الصانع والحدَّاد؛ لأنه يَطْرُقُ بها، أي: يضْرِبُ بها.
٤- خَضِرًا: معناه: نِعَمًا غضَّة ناعمة، واصله من خضرة الشجر. (قاله النووي في "شرحه على مسلم: ٢٠٤/١٧)

- *وفي رواية مسلم عن عائشة -رضي الله عنها- قالت:* " دخلت عليّ عجوزان من عُجُز يهود المدينة، فقالتا: إن أهل القبور يُعذَّبون في قبورهم. قالت: فكذَّبتُهما ولم أنعم أن أصدقهما، فخرجتا ودخل عليَّ رسول الله ﷺ فقلت له: يا رسول الله إن عجوزين من عُجز يهود المدينة دخلتا عليّ فزعمتا أن أهل القبور يُعذَّبون في قبورهم، فقال: صدقتا. إنهم يُعذَّبُون عذابًا تسمعه البهائم، ثم قالت: فما رأيته بعدُ في صلاة إلا يَتعوَّذ من عذاب القبر".

- *وأخرج الإمام أحمد وابن حبان بسند صحيح عن أم مُبَشِّرٍ -رضي الله عنها- قالت:* " دخل عليَّ رسول الله ﷺ وأنا في حائطٍ من حوائط ببني النجار فيه قبور قد ماتوا في الجاهلية، (فسمعهم وهم يُعذَّبُون)، فخرج وهو يقول: استعيذوا بالله من عذاب القبر، قلت: يا رسول الله، وللقبر عذاب؟ قال: إنهم ليُعذَّبُون في قبورهم؟ عذابًا تسمعه البهائم ".

(حسن إسناده الألباني في تخريج السنة (٨٧٥)، وقال: إسناده صحيح على شرط مسلم)

٣ - *أخرج الإمام مسلم عن عائشة -رضي الله عنها- قالت:* " دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعندي امرأة من اليهود وهي تقول: هل شَعرتِ أنكم تفتنون في القبور، قالت: فارْتَاعَ رسول الله ﷺ وقال: إنما تُفْتَنُ يَهُودُ، قالت عائشة: فلبثنا ليالي ثم قال رسول ﷺ: هل شَعرتِ أنه أوحي إليّ أنكم تفتنون في القبور؟ قالت عائشة: فسمعت رسول الله ﷺ بعدُ يستعيذُ من عذاب القبر".

وهذا الحديث صريح في أن رسول الله ﷺ لم يكن أُوحِيَ إليه في شأن فتنة القبر لأهل الإسلام، ثم أُوحِيَ إليه أنَّ أمَّته أيضًا تفتن في قبورها.

٤- *وأخرج البخاري ومسلم عن عائشة أيضًا -رضي الله عنها-:* " أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذابَ القبر، فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر؟، فقال: عذاب القبر حق، قالت عائشة: فما رأيت رسول الله ﷺ بعدُ صلَّى صلاة إلا تَعوَّذ من عذاب القبر ".

٥- *وأخرج الإمام أحمد والنسائي بسند صحيح عن أبي بكرة عن النبي ﷺ:* " أنه كان يقول في أثر الصلاة: اللهم إني أعوذُ بك من الكفر وعذاب القبر". (وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده قوي)

٦- *أخرج الإمام أحمد عن البراء بن عازب ﷺ قال:* " خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولما يلحَدْ[1]، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به الأرض، فرفع رأسه فقال: استعيذوا بالله من عذاب القبر، مرتين أو ثلاثًا ".

١- اللَّحْدُ: هو الشَّقُ الذي يكون في جانب القبر موضع الميت؛ لأنه قد أُمِيل عن وَسَطِه إلى جانبه، وهذا الشق يكون في مواجهة القبلة.

٧- *وأخرج البخاري عن أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنها- قالت:* " قام رسول الله ﷺ خطيبًا فذكر فتنة القبر التي يُفْتن فيها المرء، فلما ذكر ذلك ضج المسلمون ضجة". - *زاد النسائي:* "حالت بيني وبين أن أفهم كلام رسول الله ﷺ، فلما سكنت ضجتهم، قلت لرجل قريب مني: أي بارك الله لك، ماذا قال رسول الله ﷺ آخر قوله؟ قال: قد أُوحِي إليّ: أنكم تفتنون في القبور قريبًا من فتنة الدَّجَّال "

(انظر جامع الأصول:١١/١٧٠)

٨- *أخرج الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب ﷺ أن النبي ﷺ:* " كان يتَعوَّذ من الجُبن والبخل وعذاب القبر ".

٩- *وعند البخاري من حديث ابنة خالد بن سعيد بن العاص -رضي الله عنهما-:* أنها سمعت النبي ﷺ وهو يتَعوَّذ من عذاب القبر".

١٠-*وأخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال:* " كان رسول الله ﷺ يدعو: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال ".

١١- *وأخرج البخاري عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال:* "كان النبي ﷺ يُعلِّمُنا هؤلاء الكلمات كما تعلَّم الكِتَابَةُ: اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من أن أُردُّ إلى أرْذَلِ العُمُرِ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر".

١٢- *وفي صحيح مسلم عن زيد بن أرقم ﷺ قال:* " لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول: كان يقول: اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر، اللهم آتِ نفسي تقواها، وزكِّها أنت خير من زكَّاها أنت وَلِيُّها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علمٍ لا ينفع، ومن قلبٍ لا يخشع، ومن نفسٍ لا تشبع، ومن دعوةٍ لا يستجاب لها ".

١٣- *وأخرج البخاري ومسلم عن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ كان يقول:*

" اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم[١] والمأثم[٢] والمغرم[٣] ومن فتنة[٤] القبر وعذاب القبر ومن فتنة النار وعذاب النار، ومن شر فتنة الغنى، وأعوذ بك من فتنة الفقر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، اللهم اغسل عني خطاياي بماء الثلج والبَرد، ونقِّ قلبي من الخطايا كما نقَّيت الثوب الأبيض من الدَّنَس[٥]، وباعد بيني وبين خَطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب ".

١- الهرم: أقصى العمر.
٢- المأثم: الإثم.
٣- المغرم: الدَّيْن، وقد فسر النبي ﷺ سبب استعاذته من المأثم والمغرم، فقال: "إن الرجل إذا غَرِمَ أَثِمَ، حدَّث فكذب، ووعد فأخلف" (البخاري ومسلم)
٤- الفتنة: السؤال والامتحان، وتستعمل كثيرًا بمعنى السوء والشر، فهي امتحان ظهر منه سوء حال الممتحن المختبر، وبهذا يظهر معنى الاستعاذة من فتنة القبر.
٥- الدنس: الوَسَخ.

١٤- *وأخرج الإمام مسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال:* " كان نبيُّ الله ﷺ إذا أمسى قال:" أمسينا وأمسى المُلك لله، والحمد لله، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له، قال أراه قال فيهن: له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ربِّ أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر هذه الليلة وشر ما بعدها، رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر، رب أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر، وإذا أصبح قال ذلك أيضًا: أصبحنا وأصبح المُلك لله ".

وفي رواية أخرى عن مسلم أيضًا: " اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم وسوء الكبر وفتنة الدنيا وعذاب القبر".

١٥- *وأخرج الإمام أحمد والنسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:* " اللهم إني أعوذ بك من الكَسَلِ والهَرَمِ، والمغرم والمأثم، وأعوذ بك من شر المسيح الدَّجال، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من عذاب النار".

١٦- *وأخرج الإمام مسلم عن عمرو بن العاص ﷺ في قصة وفاته... وفي الحديث أنه قال:* " فإذا أنا متُّ فلا تصحبني نائحةٌ ولا نارٌ، فإذا دفنتموني فشنُّوا[١] عليَّ التراب شنًّا، ثم أقيموا حول قبري قدر ما تُنْحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم، وأنظر ماذا أُراجع به رُسُلَ ربي ﷻ".

١٧- *وأخرج أبو داود عن عثمان ﷺ قال:* " كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الرجل، وقفَ عليه وقال: استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت، فإنه الآن[٢] يُسْأل ".

قال العلامة محمد شمس الحق العظيم آبادي في "شرح سنن أبي داود" تعليقًا على هذا الحديث: "وفيه دليل على ثبوت حياة القبر، وقد وردت بذلك أيضًا أحاديث صحيحة في "الصحيحين"... وغيرهما.

١٨- *أخرج الترمذي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:* " إذا قُبِر الميتُ - أو قال أحدكم - أتاه ملكان أسودان أزرقان[٣] يقال لأحدهما: المنكر، والآخر: النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول: هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا. ثم يُفْسح له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين، ثم يُنوَّر له فيه، ثم يُقال له: نم. فيقول: أرجعُ إلى أهلي فأخبرهم، فيقولان: نم كنومةِ العروسِ الذي لا يُوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقًا قال: سمعت الناس يقولون، فقلت مثله، لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك. فيقال للأرض التئمي عليه، فتلتئم عليه، فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيها مُعذَّبًا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك ". (صحيح الجامع: ٧٢٤) (الصحيحة: ١٣٩١)

١- الشَّنُّ: هو الصُّبُّ المُتَقَطِّعُ.

٢- الآن: أي بعد حين يسير، بعد انصرافهم وسمعه لقرع نعالهم، كما دلَّت عليه الأحاديث الأخرى، كما يقول الرجل لصاحبه: "الآن آتيك": أي بعد حين يسير.

٣- أزرقان: الزُّرْقَةُ في العين، قال في "اللسان": الزُّرْقَةُ خُضْرَةٌ في سواد العين، وقال ابن سِيدَه في قوله تعالى: {وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا} (طه:١٠٢)، إنما قيل: {زُرْقًا} لأن السواد يزرق إذا ذهبت نواظِرُهُم (أي: أبصارهم). اهـ.

١٩- *أخرج الإمام أحمد والبيهقي عن جابر بن عبد الله قال: قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:*" إن هذه الأمة تُبْتلى في قبورها، فإذا أُدْخل المؤمن قبره وتولَّى عنه أصحابه، جاءه ملكٌ شديد الانتهار فيقول له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فأما المؤمن فيقول: إنه رسول الله وعبده، فيقول له الملك: انظر إلى مقعدك الذي كان لك في النار، قد أنجاك الله منه، وأبدلك بمقعدك الذي ترى من النار مقعدك الذي ترى من الجَنَّة، فيراهما كليهما، فيقول المؤمن: دعوني أبشِّر أهلي، فيُقال له: اُسكن، وأما المنافق فيقعد إذا تولَّى عنه أهله، فيُقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، أقول كما يقول الناس، فيُقال له: لا دَرَيْت، هذا مقعدك الذي كان لك في الجَنَّة أبدلك مكانه مقعدك من النار، قال جابر: سمعت النبي ﷺ يقول: يُبْعثُ كلُ عبدٍ في القبر على ما مات عليه، المؤمن على إيمانه، والمنافق على نفاقه ".

٢٠- *وعند أحمد أيضًا من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أنه قال:*" شهدنا مع رسول الله ﷺ جنازة فقال رسول الله ﷺ: يا أيها الناس إن هذه الأمة تُبْتلى في قبورها، فإذا الإنسان دُفن وتفرق عنه أصحابه، جاءه ملكٌ وفي يده مِطْرَاقٌ من حديد، فأقعده، فقال: ما تقول في هذا الرجل؟ فإن كان مؤمنًا قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، فيقول له: صدقت، ثم يُفتح له بابٌ إلى النار، فيقول: كان هذا منزلك لو كفرت بربك، فأمَّا إذ آمنت فهذا منزلك، فيفتح له بابٌ إلى الجَنَّة، فيريد أن ينهض إليه فيقول له: اسكن اسكن ويُفْسح له في قبره، وإن كان كافرًا أو منافقًا يقول له: ما تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا، فيقول: لا دريت ولا تليت ولا اهتديت، ثم يُفْتح له بابٌ إلى الجَنَّة، فيقول: هذا منزلك لو كنت آمنت بربك، فأمَّا إذ كفرت به، فإن الله ﷻ أبدلك به هذا، فيفتح له بابٌ إلى النَّار، ثم يقمعه قمعة بالمطراق فيصيح صيحة يسمعها خَلْق الله ﷻ كلُّهم غير الثقلين، فقال بعض القوم: يا رسول الله ﷺ ما أحدٌ يقوم عليه ملك في يده مطراق إلا هِيلَ[1] عند ذلك، فقال رسول الله ﷺ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (إبراهيم:٢٧)".

٢١- *وقال رسول الله ﷺ:*" إذا وُضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقِهم فإن كانت صالحة قالت: قدموني قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها، أين يذهبون بها؟ يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصُعِق". (البخاري)

يقول ذلك عندما يرى ما ينتظره.

١- هِيلَ: معناه: لا يثبت له في هذا الموقف عقل ولا حَزمٌ، يقال عن الرجل الذي لا حزم له ولا عقل، والهائل من الرمل: الذي لا يثبت مكانه حتى ينهال فيسقط.

٢٢- *وأخرج الإمام أحمد عن أبي قتادة ﷺ في قوله تعالى:* ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (إبراهيم:٢٧)، قال:" إن المؤمن إذا مات أُجْلس في قبره، فيقال له: مَن ربك؟ فيقول: الله ﷻ، فيقال له: مَن نبيك؟ فيقول: محمد بن عبد الله ﷺ، فيقال له ذلك مرات، ثم يُفتح له باب إلى النار فيقال له: انظر إلى منزلك من النار لو زغت، ثم يُفْتح له باب إلى الجَنَّة، فيقال له: انظر إلى منزلك من الجَنَّة إذ ثبتَّ، وإذا مات الكافر أُجْلس في قبره، فيقال له: من ربك؟ ومن نبيك؟ فيقول: لا أدري، كنت أسمع الناس يقولون، فيقال له: لا دريت، ثم يُفْتح له باب إلى الجَنَّة، فيقال له: انظر إلى منزلك من الجَنَّة لو ثبتَّ، ثم يُفتح له باب إلى النار فيقال له: انظر إلى مجلسك من النار إذ زغت، فذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (إبراهيم:٢٧)

٢٣- *وأخرج ابن جرير وابن مردويه في "الدر المنثور" (٣٢/٥) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:* ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (إبراهيم:٢٧)، قال: ذلك إذا قيل له في القبر: مَن ربك؟ وما دينك؟ ومَن نبيك؟ فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيِّي محمد – عليه الصلاة والسلام – جاءنا بالبيِّنات من عند الله، فآمنتُ به وصدقتُ، فيُقال له: صدقت، على هذا عشت، وعليه متّ، وعليه تُبْعث"

يقول الشيخ حافظ بن أحمد حكمي:

وأنَّ كـلًا مُقعَـدٌ مَسْئُولُ ما الرَّبُّ ما الدِّينُ وما الرَّسُول
وعنـدَ ذا يُثَبِّتُ المهَيْمن بثابتِ الْقَـوْلِ الـذين آمنـوا
ويُوقِنُ المرتابُ عند ذلك بأنمـا مَـــوْرِدهُ المَهَـــالك

٢٤- *وأخرج البخاري عن البراء بن عازب ﷺ عن النبي ﷺ قال:*" إذا أُقْعِد المؤمن في قبره أُتيَ ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ . . .﴾ (إبراهيم:٢٧)".

٢٥- *وعن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– أن رسول الله ﷺ قال:*" إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي[١]، إن كان من أهل الجَنَّة فمن أهل الجَنَّة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة ". (متفق عليه)

١- بالغداة والعشي: يعني أول النهار وآخره.

٢٦- *وأخرج البيهقي والحاكم وابن أبي شيبة عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:* " والذي نفسي بيده إن الميت ليسمعُ خفقَ نعالِكم حين تولون عنه مدبرين، فإن كان مؤمنًا كانت الصلاة عند رأسه، والزكاة عن يمينه، والصوم عن يساره، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه. فيُؤْتى من قِبَل رأسه فتقول الصلاة: ما قبلي مدخلٌ، فيُؤْتى عن يمينه فتقول الزكاة: ما قبلي مدخلٌ، فيُؤْتى عن يساره فيقول الصيام: ما قبلي مدخلٌ، فيُؤْتى من رجليه فيقول فعل الخيرات: ما قبلي مدخلٌ". فيقال له: اجلس، فيجلِس قد مثلت له الشمس قد دنت للغروب، فيقال: أخبرنا عمَّا نسألك، فيقول: دعني حتى أُصلِّي، فيقال له: إنك ستفعل فأخبرنا عما نسألك، فيقول: وعمَّ تسألوني؟ فيقال: أرأيت هذا الرجل الذي كان فيكم، ماذا تقول فيه، وما تشهد عليه؟ فيقول: أمحمدٌ؟ فيقال له: نعم. فيقول: أشهد أنه رسول الله وأنه جاءنا بالبيِّنات من عند الله فصدَّقْناه، فيقال له: على ذلك حييت، وعلى ذلك مت، وعليه تُبْعث إن شاء الله تعالى، ثم يُفْسح له في قبره سبعون ذراعًا، ويُنوَّر له، ويُفْتح له باب إلى الجَنَّة، فيقال له: انظر إلى ما أعدَّ الله لك فيها، فيزداد غبطة وسرورًا، ثم تُجْعل نسمتُهُ في النسم الطيب، وهي طير خضر يعلق بشجر الجَنَّة ويعاد الجسد إلى ما بدأ من التراب، وذلك قول الله ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (إبراهيم:٢٧)".

(ورواه كذلك ابن حبَّان، وذكر جواب الكافر وعذابه)

٢٧- *وأخرج البخاري عن أسماء بنت أبي بكر ﷺ قالت في حديث الكسوف الطويل:*

"فلما انصرف رسول الله ﷺ حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ما من شيء كنت لم أره إلا قد رأيته في مقامي هذا حتى الجَنَّة والنار، لقد أوحي إليَّ أنكم تفتنون في القبور مثل – أو قريب – من فتنة الدجَّال" – قالت فاطمة بنت المنذر: لا أدري أيتهما قالت أسماء .. يُؤتى أحدكم فيقال: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن ـ أو الموقن ..

– قالت فاطمة بنت المنذر: لا أدري أيتهما قالت أسماء .، فيقول: محمد رسول الله ﷺ جاءنا بالبيِّنات والهدى، فأجبنا وآمنا واتَّبعنا، فيقال له: نم صالحًا، فقد عَلِمْنَاك كنت لموقنًا وأما المنافق – أو المرتاب – قالت فاطمة بنت المنذر: لا أدري أي ذلك قالت أسماء .، فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته ".

٢٨ – *وقال* ﷺ:" إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجَنَّة، وحنوطٌ من حنوط الجَنَّة . إلى أن قال: . فتعاد روحه، فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: مَن ربك؟ فيقول: ربِّيَ الله. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدَّقت، فينادي منادٍ من السماء أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجَنَّة، وألبسوه من الجَنَّة، وافتحوا له بابًا إلى الجَنَّة. فيأتيه من روحها وطيبها، ويُفسح له في قبره مدّ بصرِه ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرُّك هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملُك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة، رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي.

وإنَّ العبد الكافر إذا كان في إقبال من الدنيا، وانقطاع من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المُسوح، فيجلسون منه مدّ البصر . إلى أن قال: . فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدرى، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدرى، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم: فيقول هاه هاه لا أدرى، فينادي منادٍ من السماء أن كذب عبدي، فأفرشوه من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار فيأتيه من حرِّها وسمومها، ويُضيَّق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويأتيه رجل قبيحُ الوجه، قبيحُ الثياب، منتنُ الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوءك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة ".

(رواه أحمد وأبو داود والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ١٦٧٦)

٢٩ – *وأخرج الإمام مسلم عن عوف بن مالك* ﷺ *قال:*" صلَّى رسول الله ﷺ على جنازة فحفظت من دعائه، وهو يقول:" اللهم اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه، وأكرم نزله، ووسِّع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقِّه من الخطايا كما نقَّيت الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله دارًا خيرًا من داره، وأهلًا خيرًا من أهله، وزوجًا خيرًا من زوجه، وأدخله الجَنَّة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار" قال: حتى تمنيت أن أكون ذلك الميت". – *وفي رواية:*" وقِهِ فتنة القبر وعذاب النار ".

٣٠- وأخيرًا عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ ، قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى صَلاَةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: مَنْ رَأَى مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟ قَالَ: فَإِنْ رَأَى أَحَدٌ قَصَّهَا، فَيَقُولُ: مَا شَاءَ اللَّهُ فَسَأَلَنَا يَوْمًا فَقَالَ: هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟ قُلْنَا: لاَ، قَالَ: لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخَذَا بِيَدِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَى الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ، بِيَدِهِ كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ مُوسَى: إِنَّهُ يُدْخِلُ ذَلِكَ الكَلُّوبَ فِي شِدْقِهِ حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الآخَرِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلْتَئِمُ شِدْقُهُ هَذَا، فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالاَ: انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى قَفَاهُ وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِفِهْرٍ- أَوْ صَخْرَةٍ - فَيَشْدَخُ بِهِ رَأْسَهُ، فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَهْدَهَ الحَجَرُ، فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ، فَلاَ يَرْجِعُ إِلَى هَذَا حَتَّى يَلْتَئِمَ رَأْسُهُ وَعَادَ رَأْسُهُ كَمَا هُوَ، فَعَادَ إِلَيْهِ، فَضَرَبَهُ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالاَ: انْطَلِقْ فَانْطَلَقْنَا إِلَى ثَقْبٍ مِثْلِ التَّنُّورِ، أَعْلاَهُ ضَيِّقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارًا، فَإِذَا اقْتَرَبَ ارْتَفَعُوا حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجُوا، فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا، وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالاَ: انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى وَسَطِ النَّهَرِ وَعَلَى شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهَرِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ، فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ، فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالاَ : انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ ، فِيهَا شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ، وَفِي أَصْلِهَا شَيْخٌ وَصِبْيَانٌ، وَإِذَا رَجُلٌ قَرِيبٌ مِنَ الشَّجَرَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ نَارٌ يُوقِدُهَا، فَصَعِدَا بِي فِي الشَّجَرَةِ، وَأَدْخَلاَنِي دَارًا لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا، فِيهَا رِجَالٌ شُيُوخٌ وَشَبَابٌ، وَنِسَاءٌ، وَصِبْيَانٌ، ثُمَّ أَخْرَجَانِي مِنْهَا فَصَعِدَا بِي الشَّجَرَةَ، فَأَدْخَلاَنِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ فِيهَا شُيُوخٌ، وَشَبَابٌ، قُلْتُ : طَوَّفْتُمَانِي اللَّيْلَةَ، فَأَخْبِرَانِي عَمَّا رَأَيْتُ، قَالاَ: نَعَمْ، أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ ، فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالكَذْبَةِ ، فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الآفَاقَ ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ يُشْدَخُ رَأْسُهُ، فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ القُرْآنَ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ، يُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي الثَّقْبِ فَهُمُ الزُّنَاةُ، وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهَرِ آكِلُوا الرِّبَا، وَالشَّيْخُ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ إِبْرَاهِيمُ -عَلَيْهِ السَّلاَمُ-، وَالصِّبْيَانُ، حَوْلَهُ، فَأَوْلاَدُ النَّاسِ وَالَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ، وَالدَّارُ الأُولَى الَّتِي دَخَلْتَ دَارُ عَامَّةِ المُؤْمِنِينَ، وَأَمَّا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ، وَأَنَا جِبْرِيلُ، وَهَذَا مِيكَائِيلُ، فَارْفَعْ رَأْسَكَ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا فَوْقِي مِثْلُ السَّحَابِ، قَالاَ : ذَاكَ مَنْزِلُكَ، قُلْتُ: دَعَانِي أَدْخُلْ مَنْزِلِي، قَالاَ: إِنَّهُ بَقِيَ لَكَ عُمُرٌ لَمْ تَسْتَكْمِلْهُ فَلَوِ اسْتَكْمَلْتَ أَتَيْتَ مَنْزِلَكَ ". (البخاري ومسلم)

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-:" وهذا نص في عذاب البرزخ، فإن رؤيا الأنبياء وحْيٌ مطابق لما في نفس الأمر". (الروح ص ٧٨، ٧٩)

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- كما في "فتاوى العقيدة" (ص ٤٦٨):

يجاب على مَن أنكر عذاب القبر بحجة أنه لو كشف القبر لوجد أنه لم يتغير بعدة أجوبة منها: -

أولًا: أن عذاب القبر ثابت بالشرع، **قال تعالى في آل فرعون:** ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (غافر:٤٦)

وفي "صحيح مسلم" أن النبي ﷺ قال: **"فلولا أن لا تدافنوا لدعوتُ الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع، ثم أقبل بوجهه فقال: تعوَّذُوا بالله من عذاب القبر، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، فقال: تعوَّذُوا بالله من عذاب القبر، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر".**

وفي "صحيح البخاري" ومسلم قول النبي ﷺ: **"ويُفسح له في قبره مدَّ بصره "**. إلى غير ذلك من النصوص، فلا يجوز معارضة هذه النصوص بوهم من القول، بل الواجب التصديق والإذعان.

ثانيًا: أن عذاب القبر على الروح في الأصل، وليس أمرًا محسوسًا على البدن، فلو كان أمرًا محسوسًا على البدن لم يكن من الإيمان بالغيب، ولم يكن للإيمان به فائدة، لكنه من أمور الغيب، وأحوال البرزخ لا تقاس بأحوال الدنيا[1].

ثالثًا: أن العذاب والنعيم وسعة القبر وضيقه إنما يدركه الميت دون غيره، والإنسان قد يرى في المنام وهو نائم على فراشه أنه قائم وذاهب وراجع، وضارب ومضروب، ويرى أنه في مكان ضيق موحش، أو في مكان واسع بهيج، والذي حوله لا يرى ذلك ولا يشعر به، والواجب على الإنسان في مثل هذه الأمور أن يقول: "سمعنا وأطعنا وآمنَّا وصدَّقنا ". اهـ

وقد مرَّ بنا كلام الحافظ الحكمي -رحمه الله- أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (الأنعام:٩٣) : "وجه الدلالة من هذه الآية أنه إذا كان يُفْعل به هذا وهو محتضر بين ظهراني أهله صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم، وهم لا يرون شيئًا من ذلك، ولا يسمعون شيئًا من ذلك التقريع والتوبيخ، ولا يدرون بشيء من ذلك الضرب، غير أنهم يرون مجرد احتضاره وسياق نفسه، ولا يعلمون بشيء مما يقاسي من الشدائد، فلأن يُفْعل له في قبره أعظم منه ولا يعلمه من كشف عليه أولى وأظهر؛ لأنهم لم يطلعوا على ما يناله بين أظهرهم، فكيف وقد انتقل إلى عالم غير عالمهم ودار غير دارهم؟ ". اهـ بتصرف.

١- وهذا الكلام فيه نظر، حيث ثبت أن الميت إذا كان معذبًا في قبره فإنه يضرب بمطارق الحديد، ويفتح له باب إلى النار، وهذا بلا شك يقع على البدن ولكن لا تراه العين لأنه في حياة برزخية لا تقاس بأحوال الدنيا.

وقال بعض أهل العلم أيضًا:" إن الله ﷻ جعل أمر الآخرة وما كان متصلًا بها غيبيًا، وحجبها عن إدراك المكلفين في هذه الدار، وذلك من كمال حكمته، وليتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم.

فأول ذلك: أن الملائكة تتنزل على المحتضر، وتجلس قريبًا منه، ويشاهدهم عيانًا، ويتحدثون ومعهم الأكفان والحنوط، إما من الجَنَّة وإما من النار، ويؤمنون على دعاء الحاضرين بالخير والشر،

كما قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ (الواقعة:٨٥)، أي أقرب إليه بملائكتنا ورسلنا، ولكنكم لا ترونهم، فهذا أول الأمر، وهو غير مرئي لنا ولا مُشاهَد وهو في هذه الدار، ثم يمد الملك يده إلى الروح فيقبضها ويخاطبها، والحاضرون لا يرونه ولا يسمعونه، ثم تخرج لها رائحة طيبة أطيب من رائحة المسك؛ إن كان صاحبها من أهل الصلاح، أو تخرج كأنتن جيفة وُجِدت على وجه الأرض؛ إن كان صاحبها من الفُجَّار أو الكُفَّار، والحاضرون لا يرون ذلك ولا يشمُّونَه، وتقول الروح عندما تحمل على الأكتاف: قَدِّمُونِي قَدِّمُونِي؛ إن كان صاحبها من الأتقياء الأنقياء، أو تقول: يا ويلها! أين تذهبون بها؟! إن كان صاحبها بخلاف الصنف الأول، ولا يسمع الناس ذلك. فكل هذه من الأمور الغيبية التي أخفاها الله عن المكلفين ليختبرهم بها.

– **أضف لهذا:** أن الرجلين يدفنان أحدهما إلى جنب الآخر، هذا في حفرة من حُفَر النار؛ لا يصل حرُّها إلى جاره، وهذا في روضة من رياض الجَنَّة؛ لا يصل روحها ونعيمها إلى جاره، وقدرة الرب تعالى أوسع وأعجب من ذلك، وقد أرانا في آيات قدرته في هذه الدار ما هو أعجب من ذلك بكثير، ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علمًا إلا مَن وفَّقه الله وعصمه.

– **أضف لهذا** أننا نجد الرجل ينام بجانب أخيه على فراش واحد، وهذا روحه في النعيم؛ ويستيقظ وأثر النعيم على بدنه، وهذا روحه في العذاب؛ ويستيقظ وأثر العذاب على بدنه، وليس عند أحدهما خبر بما عند الآخر، ***وقد قال*** ﷺ:" **لولا أن لا تدافنوا؛ لدعوتُ الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع** ".

– وقد أخبر النبي ﷺ أن الدَّجَّال يأتي معه بماء ونار: فالنار ماء بارد، والماء نار تأجج، وأحاديث الدَّجَّال صحيحة متواترة، وهذا أعجب وأعجب.

– وقد كان جبريل عليه السلام ينزل على النبي ﷺ، فيُكلِّمه بكلام يسمعه، ومَن إلى جانب النبي ﷺ لا يراه ولا يسمعه، وأحيانًا يأتي مثل صلصلة الجرس، ولا يسمعه غيره من الحاضرين.

– وفي غزوة بدر كانت الملائكة تضرب أعناق الكفار، وتقاتل مع المسلمين، وهم لا يرونهم ولا يسمعونهم.

وسر المسألة أن الله ﷻ إنما أشهد بني آدم في هذه الدار ما كان منها، فأما ما كان من أمر الآخرة فقد أسبل عليه الغطاء؛ ليكون الإقرار به والإيمان سببًا لسعادتهم، فإذا كشف عنهم الغطاء صار عيانًا مشاهدًا.

وقال الحافظ -رحمه الله- في "الفتح" (٣/٢٩٨): " بعد أن ذكر أن المصنف . البخاري . لم يتعرض هل العذاب على الروح، أو على الجسد أو عليهما جميعًا؟ ***قال:*** واكتفى بإثبات وجوده . يعنى عذاب القبر . خلافًا لمن نفاه مطلقًا من الخوارج وبعض المعتزلة (كضرار بن عمرو، وبشر المريسي، ومن وافقهما) وخالفهم في ذلك أكثر المعتزلة وجميع أهل السنة وغيرهم وأكثروا من الاحتجاج له ".

وذهب بعض المعتزلة كالجبائي: إلى أنه يقع على الكفار دون المؤمنين، وبعض الأحاديث السابقة ترد عليهم.

شبهة والرد عليها:

البعض ينفي عذاب القبر استدلالًا بقوله تعالى حكاية عن الكفار والمشركين: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ (يس:٥٢)

قال الشنقيطي-رحمه الله- في "أضواء البيان" (٦/٤٨٩،٤٩٠): " التحقيق أن هذا قول الكفار عند البعث، والآية تدل دلالة لا لبس فيها على أنهم ينامون نومة قبل البعث كما قاله غير واحد، وعند بعثهم أحياء من تلك النومة التي هي نومة موت، **يقول لهم الذين أوتوا العلم والإيمان:** ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾

وقال ابن كثير -رحمه الله- في "تفسيره" (٣/٥٣٧): " هذا لا ينفي عذابهم في قبورهم؛ لأنه بالنسبة إلى ما بعده في الشدة كالرقاد، ***قال أبي بن كعب ﷺ، ومجاهد، والحسن، وقتادة:*** ينامون نومة قبل البعث، ***قال قتادة:*** وذلك بين النفختين، **فلذلك يقولون:** ﴿مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾، فإذا قالوا ذلك أجابهم المؤمنون، قاله غير واحد من السلف ".

فيا عجباً لهؤلاء السفهاء... الذين يعتلون منابر التشكيك في قضايا الاعتقاد فينكرون عذاب القبر كما خرجوا علينا من قبل وكانوا ينكرون الشفاعة ويردون أحاديثها مع أنها متواترة قطعية.

والدافع لهذا إما أن يكون الهوى أو الجهل.

فأما الهوى: فإنه يضلُّ عن الحق فيأخذ بأصحاب العقول البعيدة عن نور الوحي إلى دركِ الهاوية حيث تأخذهم الفكرة العابرة، وتلعب بعقولهم، وتختمر في أذهانهم، فيخرجوا علينا بأفكار هدَّامة مظلمة، تصطدم مع نور الوحي، فيطعن في ثوابت الشرع تارة؛ لأن عقله لا يصدق ما جاء في الشرع، فتراه مرة يطعن في رواة الحديث كأبي هريرة ﷺ أو أنه يرد الحديث على أنه أحاديث أُحاد، أو أنه غير مقبولٍ عقلًا... وغير ذلك، والدافع هو الهوى. **وأما الجهل**: فإنه يوقع أصحابه في المهالك.

كان سهل -رحمه الله- يقول: **"ما عُصِيَ الله تعالى بمعصية أعظم من الجهل، قيل: يا أبا محمد هل تعرف شيئًا أشد من الجهل؟، قال: نعم. الجهل بالجهل".**

وهو كما قال: "لأن الجهل بالجهل يسد بالكلية باب التعلم".

فهؤلاء الذين يدَّعون العلم وهم أجهل من الدَّوَاب، يقول فيهم السيوطي -رحمه الله- كما في "الأشباه والنظائر" (ص ٢٨، ٢٩): "وكيف يقاس من نشأ في حِجْرِ العلم منذ كان في مهده ودأب فيه غلامًا وشابًا، حتى وصل إلى قصده . بدخيلٍ أقام سنوات في لهوٍ ولعبٍ، وقطع أوقاتًا يحترف فيها أو يكتسب، ثم لاحت منه التفاتةٌ إلى العلم فنظر فيه وما احْتكم، وقنع منه بتحلة القسم، ورضي بأن يقال: عالم وما اتَّسم ". اهـ

فعلمُهُم بالدين ضحلٌ، وجهلهم مطبقٌ، ومع ذلك يتكلَّمون في أمور لو كانت على عهد عمر ﷺ لجمع لها أهل بدر وفقهاء الصحابة.

فهؤلاء الذين قال فيهم النبي ﷺ كما في مسند الإمام أحمد وعند الحاكم: **" بين يدي الساعة سُنُون خدَّاعَة، يُكذَّب فيها الصادق، ويُصدَّق فيها الكاذب، ويؤتمن فيها الخائن، ويُخوَّن فيها الأمين، وينطِق فيها الرويبضة، قيل: وما الرويبضة يا رسول الله؟ قال: السفيه يتكلم في أمر العامة ".**

فيا أيها الأحبة... عليكم بالعتيق، عليكم بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ بفهم صحابة رسول الله ﷺ وتابعيهم بإحسان، ودعْ عنك قول أهل الزور والباطل والبهتان.

قيل لأنس بن مالك ﷺ:

" يا أبا حمزة إن قومًا يُكذِّبون بعذاب القبر، قال: فلا تُجالِسوا أولئك ".

وللحديث بقية-إن شاء الله تعالى- مع " أسئلة عن القبر تبحث عن إجابة ".

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة.

وأسأل الله– تعالى– أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى– أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك